

بالله منه «أعوذ بك منك»! بشفاعة رحمته الخاصة، ثم الرحمن يستعاذ به ممن غلبته الشهوة وهو تقي، والشهوة الغالبة لا تعرف رحمة، وإنما التقوى من الرحمن، تذكر بتلك الرحمة الشاملة التي تنفذ في كل شيء، وأنا الطاهرة مريم شيء، وأنت البشر السوي شيء. وهنا ليس أحد يدفع إلا الرحمن ف ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا...﴾ ولكنه يعيد طمأنينتها ويسكن روعتها إذ:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩):

أنا فوق التقي الذي يتحول عند الشهوة إلى شقي ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ ينحصر كوني وكياني وتمثلي عندك برسالة ربك، رسالة تربوية معصومة من ربك الذي ربك حتى الآن ويريبك ما دمت حياً، أما تستقبلين رسول ربك حيث يحمل لك هبة ربانية منقطعة النظير، هو البشير النذير ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ في هذه الرسالة بإذن ربك ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ بكل طهارة وسلام؟ وكل نضارة ووثام.

فلقد طمأنها في هذا اللقاء بأمرين: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ بعيداً عن الشهوة الجنسية فلا حاجة إلى عوذة! ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ من دون وقاع مهما كان حلاً فضلاً عن الحرام، وإنما أحمل هبة ربانية هي خارقة.

ولكن كيف تصدقه وقد تكون حيلة فاتك يستغل طبيعتها، وكيف تهب لي غلاماً زكياً وأنت رسول وأنا ما عرفت رجلاً، وهي الآن في هذه الهزة الثانية تسأل في صراحة تغاضياً عن احتمال الحيلة، كأنها لا هي مصدقة برسالته فتطمئن إلى هبة ربها، ولا مكذبة فتجانبه فوراً، فرغم أنها اطمأنت بالأمان من ناحيته تغشيتها سحابة الحزن من أخرى، وتطوف بها موجة من الأسى، إلا أن هول الموقف ليس ليعقد لسانها، حيث تذكر هذه البشرية قبلئذ على إجمالها من ملاك ربها، ولكن هول البشرى - إذ هي على أشرف تحققها دون بعل، وقد تخلف تهم الجاهلين - إنه يبعثها لسؤالها حائرة ذعرة.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: ﴿٢١﴾

هبة الغلام لها وسيلة تكوينية من نكاح أم سفاح ولا أعرف ثالثة، ف﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أي زمن وأيان؟ ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بنكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ بسفاح؟

وترى ألم تكن هناك في خلدتها وسيلة مستقبلية لهذه الهبة الربانية بهذه البشارة؟ كلا! حيث ﴿لِأَهَبَ﴾ تقاطع كل وسيلة مستقبلية، وتصرف مثلث زمن الهبة إلى الحال، وبواسطة رسول الرب! فلا وسيلة لأصل الهبة حيث تتحقق الآن إلا ماضية من نكاح أو سفاح وهي منتفية، فلا تعرف هي من ﴿لِأَهَبَ﴾. تغاضياً عن مقاربتة - معنى إلا البشارة بغلام زكي انعقد قبل البشارة وهي نافية لكل انعقاد ماضٍ! ولما يخلد بخلدها أنها بشارة بخارقة ربانية دون أي لقاح من نكاح أم سفاح! اللهم إلا ما بشرته الملائكة بإجمال... فيأتي الجواب الحاسم هنا كما أتاها من ذي قبل:

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: ﴿٢٢﴾

﴿قَالَ﴾ أمرك في هذه الولادة العجيبة ﴿كَذَلِكَ﴾ الذي قلت عن رسالة ربك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾ أن تلدي دون زوج، ولماذا؟ لحكم شتى... ﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ برهاناً ساطعاً قاطعاً على القدرة الخارقة الإلهية، وعلى صدق الرسالة العيسوية، لهؤلاء الذين لا تكفيهم آيات مضت في الرسالة الموسوية ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ عليك خاصة وعلى الناس عامة، فهو إذاً آية ورحمة، مهما كان عليك حملاً ورحمة، فإنه من الألفاظ الخفية الإلهية على صعوباته ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ لا يتحول بإباء ولا دعاء! فأستعدي لهذه الآية الرحمة مهما بلغت بك الصعوبة!

هنالك ينتهي الحوار بينهما حيث استسلمت لحكم ربها في هذه الهبة

الزكية، ونرى في آل عمران حواراً بينهما وبين الله والملائكة، فما هو التلاحم بينهما؟:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكُلٌّ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ (١).

تستوحش من هذا البشارة الملائكية، وحق لها إذ لا ترى لنفسها ضجيعاً، ولم تعرض بخلدها حتى الآن قصة الزواج، وهي عارفة أن البشارة محققة لمستقبل قريب لا تلائمه الولادة كالعادة: أن تتزوج وتلد من فوره!

وهل «الملائكة» هم «روحنا» جمعاً في واحد؟ وهي هنا تحاور ربها في استعجابها أن يكون لها ولد وهناك الحوار مع «روحنا»!

إنها عرض لبشارتها بالملائكة قبل أن يتمثل لها «روحنا» بشراً سوياً، تعبيداً لطريقها إلى هذه المفاجآت والهزّات، فأصبحت على خبرة إجمالية عن هذه الكلمة البشرية، سائلة ربها ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي وَكُلٌّ...﴾ فطويت الحوار هنا طياً وهي بانتظار كيف تتحقق البشرية، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ لا للبشرى إذ تقدمت بالملائكة وإنما لتحقيق البشرية: ﴿لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ولكنها ذعرت إذ فوجئت بما لم تحسب له حساباً أن البشارة تتحقق ببشر سوي، فحق لها أن تحتار مترددة هل إنه الذي يحقق البشرية، وما طمأنت له حتى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ...﴾ بما سبقت لك فيه البشرية، فاطمأنت لحدّ ما، ولكنها بعد متحيرة ولكي تطمئن ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ...﴾ فلما سمعت نفس الصيغة الماضية من الملائكة في بشرائها

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾ انتهى الحوار وأصبحت كأنها في قرار! مستسلمة لتحقيق البشرى:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانَبَذَتْ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢):

فقد حملت الغلام الزكي الموهوب بنفخ رباني وإلقاء: نفخ «روحنا» وإلقاء «كلمته». هنا ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ وفي أخرى ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (١) وفي الثالثة ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا﴾ (٢) فالحامل للغلام الزكي الموهوب هو «روحنا» والمحمول هنا هو الغلام، ثم المنفوخ هو «من روحنا» والملقى ﴿وَكَلِمَتُهُ... وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ والحاملة هي مريم، وهل هنا فرق بين الغلام الزكي وروح منه ومن روحنا وكلمته الملقاة إلى مريم؟ تعبيرات أربع في سائر القرآن عن تكوين المسيح ﷺ.

ولأن ضمير الغائب في «حملته» راجع إلى ﴿غُلَمًا زَكِيًّا﴾ فليكن هو المحمول بروحه وجسمه، وعلّ جسمه هو الكلمة الملقاة وروحه هو المنفوخ، فتحققت إذاً ازدواجية ذلك الحمل المبارك، وفي قرن «كلمته» بـ «روح منه» تلميح بذلك القرن في حملها، وكلا النفخ والإلقاء من فعل الله وليس «روحنا» إلا وسيطاً في تحميل هذه الهبة الربانية وعلّها دون نفخ منه ولا إلقاء!

فلقد كان حملاً بإلقاء الكلمة في الفرج وهي النطفة الرجولية التي تشكل جسم المسيح، إلقاءً بدفع في قعر الرحم لتتزاوج نطفة الأُنثى لتكوّن الجنين، وبنفخ الروح تبعاً في الجسم الكلمة ومن ثم الولادة! وترى أن مكوث الحمل كأصله كان خارقاً للعادة؟ كأنه هو حيث «فحملته» تطوى زمن حلول الروح في الجسم طياً كأنهما مقارفتان أم

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١٢.

مقارنتان بأن البويضة في هذه الخارقة ما سارت بعد النفخة سيرها كسيرتها العادية، بل اختصرت مراحلها اختصاراً، وأعقبهما تكوّن الجنين ونموّه واكتماله في فترة وجيزة!^(١).

ثم ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ دلالة ثانية على هذا الطي، حيث الفاء لتفريع القريب، فالانتباز كان تلو الحمل، ولا داعي إلى الانتباز فور الحمل إلا طياً لدور الحمل، فقد اقتلعت عن مكان الحمل إلى مكان قصي لوضع الحمل.

ترى أكان الحمل كاملاً من ساعته أم تسع ساعات أم أية سويغات، أو ستة أشهر^(٢)؟ لا ندري إلا ما تلمح لنا آية الحمل الانتباز المخاض، قدر ما يحتاجه انتبازها إلى مكان قصي!

وكيف انتبذت مكاناً قصياً وأين ذلك المكان؟ لا ندري! وقد يكون انتبازها بنبذة إلهية خارقة ولا سيما أن المنتبذ إليه مكان قصي، أو أنها لشدة هزتها بهذه الوشبكة المواجهة بها أهلها بالفضيحة، لذلك انتبذت مكاناً قصياً بعيداً عنهم خلواً عمن يعرفها! وهذه الانتبازة تناسب بيت اللحم المعروف أنه مولد المسيح ﷺ وتلك الخارقة تناسب الفرات كما وردت بها

(١) مجمع البيان وروي عن الباقر ﷺ . . فكمل الولد في الرحم من ساعته . . فخرجت من المستحم وهي حامل فحج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحيية من خالتها ومن زكريا . . .

(٢) هنا روايات ثلاث في مدة حملها من ساعة كما رواه في المجمع عن الباقر ﷺ أنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل في أرحام النساء تسعة أشهر، ومن تسع ساعات يرويها عن أبي عبد الله ﷺ ومن ستة أشهر رواها في العلل والكافي عن أبي عبد الله ولفظها «ولم يولد - ولم يعش - لسته أشهر إلا عيسى ابن مريم والحسين بن علي ﷺ ورواية رابعة في الكافي عن أبي الحسن موسى ﷺ في حديثه مع نصراني . . .

وأما اليوم الذي حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال . . . وأما اليوم الذي ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء لأربع ساعات ونصف من النهار . . .

روايات^(١)! ومما يلمح بأقصر الحمل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ طَّ
خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) ومطلق المماثلة يقتضي الولادة فور
الحمل أو بفصل قريب، و﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ تؤيده ألا تدرج في هذا
الحل كما لم يكن في خلق آدم!

﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا﴾^(٣):

فاجأها المخاض فأجاءها - أن جاء بها - إلى جذع النخلة لتجعله
لبأسها سناداً ولظهرها عماداً. فإنها وحيدة تعاني حيرة العذراء في أول
مخاض، دون أن تعرف منه شيئاً أو يعينها أحد في شيء فلجأت إلى جذع
النخلة كقابلة تسندها.

معاناة المخاض من ناحية وغربتها من أخرى وهزتها من ولادة دون بعل
من ثلاثة تسقطها في يديها وتحيرها في أمرها وتشد حزنها وتغلي مرجل
غيظها فتقول متأوهة حائرة: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾!

ترى وكيف قالت قولتها هذه وهي عارفة بأن هذه الولادة هي من الله آية
للناس ورحمة للعالمين؟ علها لكربتها وغربتها وشدة وطأتها نسيت الآية

(١) نور الثقلين ٣: ٣٢٦ ح ٢٩ عن أصول الكافي عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديثه
لنصراني . . . والنهر الذي ولدت عليه مريم عيسى هل تعرفه؟ قال: لا قال: هو الفرات وعليه
شجر النخل والكرم وليس يساوي بالفرات شيء للكروم والنخل . . .
وفي تهذيب الأحكام عن علي بن الحسين في الآية قال: خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء
فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها وح م د في روضة الكافي عن
سليمان بن داود المنقري عن حفص قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يتخلل بساتين الكوفة فانتهى
إلى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجدة خمسمائة تسبيحة ثم استند إلى
النخلة فدعا بدعوات ثم قال: يا حفص إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم عليها السلام:
﴿وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَلِّطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

الرحمة، و«لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فِراسة ينزهها عن السوء»^(١) مهما دافع عنها أهلها!

﴿مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ قد يعني قبل حملها، أو يعني قبل وضعها أم يعنيهما حتى لا تقع في هذا المأزق المزلق، ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ ما يحق أن ينسى لدنائه كخرقة حيض أو علقته، ثم ﴿مَنْسِيًّا﴾ يعني نسياناً على نسيان! ألا يتذكروني في شيء وأنا منذ الآن عُلقَة الألسن تتداولني في نقاض ونقاش!

أترى لماذا ﴿إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ﴾ دون ﴿النَّخْلَةِ﴾؟ عله للإشارة إلى يبوستها أن بقي لها جذع خشبة تلتجئ به! حيث الجذع هو القطع فهو إذاً مقطوع النخل منفصلاً عنه أم قطعاً عن حياته وما أنسبه لجوء العذراء التي ليست لتلد دون بعل إلى جذع النخلة اليابسة عن وليد الثمر، وليتشابها حين أثمر!

﴿فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾^(٢):

لقد ولد المسيح ﷺ هكذا إلى جذع النخلة وفي حديث أنه كان يوم العاشور^(٢) أم ماذا^(٣) ما ندرى إلا أنه ولد فيا لله! طفل هو حمل لفترة قصيرة ووليد اللحظة، ينادي أمه من تحتها، يطمئنها في حالها الغريبة المضطربة، ونفس ندائه يطمئنها دون أن تحمل هذه البشارات: ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ لكربتك على غربتك، لوحدتك حين وهدتك ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ من الرفعة، وهو المسيح الرفيع، أو من السري: السريان: نهراً سرياً خلق الساعة^(٤)، ووليداً

(١) نور الثقلين ٣: ٢٢٠ ح ٤٦ مجمع البيان في الآية إنما تمت ﷺ الموت استحياء من الناس

أن يظنوا بها سوءً عن السدي وروي عن الصادق ﷺ: أنها . . .

(٢) نور الثقلين ٣: ٢٢ في تهذيب الأحكام عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال وقد ذكر يوم

عاشوراء - وهذا اليوم الذي ولد فيه عيسى ابن مريم ﷺ . . .

(٣) المصدر في من لا يحضره الفقيه عن الرضا ﷺ قال: ليلة خمس وعشرون من ذي القعدة

ولد فيها إبراهيم ﷺ وولد فيها عيسى ابن مريم ﷺ .

(٤) الدر المنثور ٤: ٢٦٨ وأخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن ابن عمر سمعت رسول=

سرياً يسري صيته ويجري صوته في مشارق الأرض ومغاربها، ناداها المسيح فإنه محور الكلام وحاصل المخاض فهو من تحتها، دون جبريل أم ملك سواه إذ ليس تحتها^(١) وسريتها هو نهرها الساري تحتها ووليدها الخارج من تحتها فإنه سرو رفيع وسار منيع، ويا للسريين هذين من رفعة ومناعة فإنهما صنعيا ربهما كما وصنع لها رطباً جنياً، مثلثاً من خارق العادة رأس زاويته سري المسيح.

﴿وَهَؤُوتَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

فلأنها اهتزت لما ولدت دون بعل، فلتهز جذع النخلة اليابسة فتتهز بالحياة دون سبب ظاهر فتحمل وتساقط عليها رطباً جنياً دون لقاح باهر ودون مكوث لفترة الإيقان والإثمار والإيناع ونحسبها عليها اندهشت في حظوة وبهتت على أهبة كيف تمتد يدها إلى جذع النخلة اليابسة لتساقط عليها رطباً جنياً فإذا بالنخلة المورقة المثمرة المونعة تساقط عليها ودقاً من رطب جنني طري!.

ويا لها من طاهرة عذراء تحمل دون بعل، فاجأها المخاض إلى جذع نخلة يابسة بترء^(٢) فإذا هي ثمر دون وقتها - ولا لقاح - وبعد موتها، كما

= الله ﷻ يقول: إن السري الذي قال الله لمريم: ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] نهر أخرج الله لها لتشرب منه وأخرج مثله الطبراني في الصغير وابن مردويه عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ وقد روي في المجمع عن أبي جعفر الباقر ﷺ: ضرب جبرائيل برجله فظهر ماء عذب يجري.

(١) المسيح هو آخر المراجع الصالحة لضمير الغائب في ناداها إضافة إلى ما ذكر في المتن وأنها ما كانت تطمئن إلى هذه المقالة في حالتها المزرية إلا مقالة المشاهد وهو المسيح.

(٢) نور الثقلين ٣: ٣٣١ ح ٥٥ عن كتاب المناقب عبد الله بن كثير قال: نزل أبو جعفر ﷺ بوادٍ فضرب خبائه فيه ثم خرج يمشي حتى انتهى إلى نخلة يابسة فحمد الله عندها ثم تكلم بكلام لم أسمع بمثله ثم قال: أيتها النخلة أطعمينا ما جعل الله فيك فتساقطت رطباً أحمر وأصفر =

أن العذراء تلد فور وهبة ربها دون وقتها ولا لقاح، ويجري في لحظتها ينبوع، طعام وشراب محضران بخارقة الرب كما هي وابنها آية للعالمين:

﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٦﴾﴾:

كلي من رطب جني واشربي من السري، وما أحسنه وأسلمه أكلًا للنساء رطب جنني ف «أكرموا عمتمكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم ﷺ وليس من الشجر شجرة تلتح غيرها - أطمعوا نساءكم الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فليس من الشجر شجرة أكرم من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران»^(١) «ولو علم الله طعاماً هو خير لها من التمر لأطعمها إياه»^(٢).

= فأكل ومعه أبو أمية الأنصاري فقال: يا أبا أمية هذه الآية فينا كآلية في مريم أن هزت إليها النخلة فتساقطت رطباً جنيًا.

أقول وفي بصائر الدرجات روي مثله عن أبي عبد الله ﷺ قال: أيتها النخلة السامعة الطيبة المطيعة لربها أطمعنا مما جعل الله فيك فتساقط علينا رطباً مختلفاً ألوانه فأكلنا حتى تزلعننا فقال ﷺ: إليكم سنة كسنة مريم ﷺ.

وفيه عن أبي عبد الله ﷺ قال: خرج الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ في بعض عمره ومعه رجل من ولد الزبير كان يقول بإمامته قال: فنزلوا في منزل من تلك المنازل تحت نخل يابس قد يبس من العطش قال: ففرش للحسن تحت نخلة وللزبيرى بحذاء تحت نخلة أخرى قال: فقال الزبيرى ورفع رأسه: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه فقال الحسن ﷺ وأنتك لتشتهي الرطب؟ قال: نعم فرفع الحسن ﷺ يده إلى السماء ودعا بكلام لم يفهمه الزبيرى فاحضرت النخلة ثم صارت إلى حالها فأورقت وحملت رطباً قال: فقال الجمال الذي اکتروا منه: سحر والله! فقال الحسن ﷺ: ويلك ليس بسحر ولكن دعوة ابن نبي مجابة! قال: فصعدوا إلى النخلة حتى تصرموا ما كان فيها فأكفاهم.

(١) الدر المنثور ٤: ٢٦٩ - أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم معاً في الطب النبوي والعقيلي وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ . . . وفيه أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله ﷺ مماذا خلقت النخلة؟ قال: خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم ﷺ.

(٢) أخرج ابن عساكر عن سلمة بن قيس قال: قال رسول الله ﷺ: أطمعوا نساءكم في نفاسهن =

هنا اطمأنت نفسها وعاد إليها ما عذب من لبها واستجمعت قوتها، ومع الدستور الصارم تخفيفاً لوضعها العارم: ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي...﴾ لا تكلمي بشراً يواجهك إلا قوله الإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ للصمت لا عن الأكل والشرب ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ﴾ واليوم فقط ﴿إِنْسِيًّا﴾ مهما أكلم ربي وغير الإنس من ملك آمن ذا، ولأن الإنسي هو الذي يعارضني في ولدي دون بعل، والله بملائكته يؤنسنني غير ملين!

هذا طرف من قصة الولادة المباركة العجيبة للمسيح ابن مريم عليها السلام وهنالك هرطقات إنجيلية تعارضها، مما يجعل الجمعية الرسولية الأمريكية تعترض على جوانب من هذه القصة حسب القرآن قائلة: ^(١) «إن القرآن مشتببه في قصة مريم إذ ينسب إليها قصة هاجر أم إسماعيل، فإنها هي التي كانت في البرية وهزت إليها بجذع النخلة ومريم كانت في بيت لحم اليهودية والمسيح لم يتكلم في المهد وهذه كلها مأخوذة من خرافات المسيحيين دون سناد عن كتابات الوحي» ^(٢).

= التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدًا حليماً فإنه كان طعام مريم حيث ولدت عيسى ولو علم الله..

وفي نور الثقلين ٣: ٣٣٠ ح ٥٠ في كتاب الخصال فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمئة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودينه ما تأكل الحامل من شيء ولا تتداوى به أفضل من الرطب قال الله تعالى لمريم: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَيًّا...﴾ [مريم: ٢٥].

أقول: قول المسيح حينذاك وحياً هو من قول الله وفي (٥١) عن الكافي عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب فإن الله ﷻ . . . قيل: يا رسول الله فإن لم يكن إبان الرطب؟ قال: سبع تمرات من تمر المدينة فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فإن الله ﷻ يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل النفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلا كان حليماً وإن كانت جارية كانت حليمة.

(١) راجع كتابنا «عقائدنا» ص ٥٠٠ - ٥٠٣ وما قبلها وبعدها ففيها تفصيل مقارن للقصة بين القرآن والإنجيل.

(٢) ج ٢ ص ٩٢ - ٩٣ من الهداية للجمعية الرسولية الأمريكية نقلاً بالمعنى.